وحدتها، وعلة فى اتخاذها وجهة تشكيلها وتطبع سلوك أفرادها على هيئة خاصة بحسب الدين يعتنقه هؤلاء الأفراد، ولست تجد أمة تخلو من دين، حتى البدائيين الذين كانوا يعبدون الحجر، والشجر، والشمس والقمر؛ لأن الدين عبادة تقتضى عابدا ومعبودا، وتستلزم أن يكون المعبود مقدسا، وقد مرت البشرية فى أدوار كثيرة فى تدينها حتى بلغت الأديان السماوية التوحيدية. كان الناس يعبدون مظاهر الطبيعة وكل ما يجلب لهم الخير أو ينزل بهم الضر، فألّهوا البقر كما ألّهوا البرق والرعد، ثم انتهى الأمر بالبشر إلى تأليه كل قوة طبيعية ومن هنا نشأ تعدد الآلهة.

ثم أضفى الناس من خيالهم على هذه القوى التى ألّهوها الخرافات، وحكوا عنها الأساطير فكانت أقدم الديانات عند قدماء المصريين وعند اليونانيين خرافية أو «مثيولوجية»، ذلك أن تقدم البشرية فى البحث والتأمل والتفكير أفضى إلى أمرين: الأول الخروج من التعدد إلى التوحيد، كما حدث فى عصر أخناتون، والثانى تجريد الآلهة من مظهرها المادى المتشخص فى الميثولوجيا، واعتبار الله الواحد هو القوة العليا والكمال المطلق ليس كمثله شىء.

وتشترك الديانات السماوية الكبرى فى اعتقادات تعمها هى الاعتراف بوجود الله وأنه خلق العالم بعد إن لم يكن، وأنه بعث الأنبياء والرسل لهداية البشر، وأن الناس جميعا على موعد مع اليوم الآخر حيث الحساب، وحيث الجنة والنار.

وعلى رأس الأمور التى تشغل البال الإيمان بوجود الله، مهما انشغل الإنسان بأمور الدنيا ومهما حاول التغلب على صعابها بوسائل يتخذها فى حياته وفى أموره اليومية، وفى سبيل ذلك يسخر الكون بما فيه لخدمته ومن هنا يأتى العلم ودوره حيث تقدم بخطوات هائلة، وخصوصا منذ القرن الثامن عشر إلى أن توصل الإنسان إلى معرفة سر المادة وتركيبها وانتقل من عصر البخار إلى عصر الكهرباء إلى عصر الذرة والفضاء.

هذا العلم الذى يقوم على التجريب وعلى المشاهدة، والملاحظة، والإحصاء أثار تساؤلا مهما لدى الناس هو: لم لا نطبق المناهج العلمية على الدين وبخاصة بعد تطبيقها على ظواهر إنسانية أخرى مثل النفس الاجتماعية حيث نشأ علمان جديدان هما: علم النفس، وعلم الاجتماع؟